

دلائل الإعجاز

(بِصُرَّتْ بِالرَّاحَةِ الْعُظْمَى فَلَمْ تَرَهَا ... تُنْذَلُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنْ التَّعْبِ) .

فترى لها في الثاني حُسناً لا تراه في الأول . ثم تنظر إليها في قول ربيعة الرِّقْيِ - البسيط - : .

(قُولِي : نَعَمْ وَنَعَمْ إِنْ قُلْتِ وَاجِبَةٌ ... قَالَتْ : عَسَى وَعَسَى جِسْرٌ إِلَى نَعَمٍ) .

فترى لها لطفاً وخبلاً ليس الفضل فيه بقليل .

ومما هو أصل في شرف الاستعارة أن ترى الشاعر قد جمع بين عدّة استعارات قصداً إلى أن يُلحَقَ الشَّكْلُ بالشَّكْلِ وَأَنْ يُتَمَّ - المعنى والشَّبهَ فيما يُريد . مثاله قول امرء القيس - الطويل - :

(فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِمُضْلَيْهِ ... وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً بَكَلْكَلٍ) .

لما جعل للَّيْلِ مُلْبِياً قد تمطَّى به ثَنَّى ذلك فجعل له أَعْجَازاً قد أَرْدَفَ بها المُلْبِ وَثَلَّثَ فجعل له كَلْكَلاً قد ناءَ به فاستوفى له جملة أركان الشَّخْصِ وَرَاعَى ما يراه النَّاطِرُ من سواده إذا نظر قُدَّامَهُ وَإِذَا نَظَرَ إِلَى ما خَلْفَهُ وَإِذَا رَفَعَ البَصَرَ وَمَدَّ دَهَ فِي عُرْضِ الجَوِّ